

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ
 مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى
 الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ
 وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ
 إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ
 الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

ولكن البرّ ..

(002) سورة البقرة

تفسير الآية (177)

2022-02-07

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علّمنا ما ينفعنا واتقنا بما علّمنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين وبعد.

البرّ كلمة من الكلمات المثلثة في اللغة العربية:

جدينا اليوم عن آية من سورة البقرة، لكن هذه الآية من جوامع الكلم، وكلام الله تعالى كلّ من الجوامع، بمعنى أن الألفاظ القليلة تُؤدّي معانٍ كثيرة. لكن هذه الآية تتحدث عن كليلٍ مهمّة في الدين وعن أساسيات الدين، الآية هي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
 ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
 وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)

[سورة البقرة]



كل شيء فيه إحسان يُسَمَّى بَرًّا
 هذه الآية تتحدث عن البرِّ، والبرُّ كلمة من الكلمات المُتَّكِّة في اللغة العربية، مُتَّكِّة أي تأتي بثلاث حَرَكَات، فهناك البر والبرِّ والبر. البر هو الفمخ، والبر اليابسة، والبر هو التَّوسُّع في كل خير وإحسان، كل شيء فيه خير يُسَمَّى بَرًّا، كل شيء فيه إحسان يُسَمَّى بَرًّا، فنقول: ير الوالدين أي الإحسان لهما، ومدَّ يد العون لهما، وإيصال الخير لهما، ونقول: فلان بَرٌّ بَرَّجته أي يَصِل رَحْمته، والله تعالى هو البرُّ الرحيم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ البرُّ الرَّحِيمُ (28)

[سورة الطور]

طبعاً البر اليابسة غير البرِّ هنا اسم الفاعل من البرِّ، فهو البرُّ جل جلاله، لأنه بَرُّ بعباده، من يَصِلُ كما يَصِلُ جَلَّ جلاله بعباده بالخيرات؟ من الذي يُعِمُّ عليهم ويُعِدُّ عليهم البركات؟ من الذي يتولى نُفوسَهُم بالبرية؟ من الذي يُعطيهم الشكينة؟ من الذي أعطانا الولد؟ من الذي أعطانا الزوجة؟ من الذي أعطانا الوالدين؟ من الذي وهبنا الحياة؟ فهو البرُّ جلَّ جلاله.

تحويل القبلة هو سبب نزول الآية:

هذه الآية تقول: **(لَيْسَ البرُّ أَنْ تُؤَلُّوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)** بسبب نزول الآية هو تحويل القبلة، لَمَّا حُوِّلَت القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة، تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا قَدِمَ المدينة صلى باتجاه بيت المقدس، وكان يُقَلِّبُ وجهه في السماء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَدْ تَرَى تَعَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ
 وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144)

[سورة البقرة]



المقدس، أولى القبلتين

النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يتوجَّه إلى مكة، يُحِبُّ مكة، ويشعر أن المؤمن ينبغي أن يتميَّز في قلبه، فالله تعالى حَوَّلَ القبلة في أثناء صلاة من صلوات المسلمين، وتحوَّلوا داخل الصلاة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام، فنقول دائماً: المقدس أولى القبلتين، فاصح المسلمون يتوجَّهون إلى بيت الله الحرام، واليهود كانوا يتوجَّهون إلى بيت المقدس، والنصارى إلى المشرق، فبدأت الأحاديث في المدينة حول هذا الأمر، أي لماذا تركَّ قِبَلتنا وذهب إلى قلبه؟ لماذا قتل ذلك؟ قِبَلتنا أفضل، التوجُّه إلى هنا أم إلى هنا؟ فأراد الله تعالى أن يَرُدَّ عليهم ويبين لهم حقيقة الدين، فقال: **(لَيْسَ البرُّ أَنْ تُؤَلُّوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ)** أي جهة المشرق أو المغرب.

الإسلام فيه أمور جوهريّة، لا أقول: الدّين فيه فُشور، بل كلّهُ لب، لكن يوجد كُليّات ويوجد جُزئيات أصحُّ تعبيراً حتى لا نقول: لب و فُشور، الدّين كلّهُ مُتكامِل، لكن هناك كُليّات وهناك جُزئيات؛ تفاصيل.

الإنسان من غير أن يشعر عندما يترك الأمور الجوهريّة في الدّين يتّجه إلى مناقشة التّفصيلات لِإرضي نفسه، ويُشعر نفسه بأنه مُتدبّن، فمثلاً نجد إنساناً يُناقشك في طول ثوبه، هل يجوز أن يطول الثوب أم لا؟ ثم تكتشف مثلاً أنه قد أكل مال أخواته البنات، أنت تُناقش في قصيّة هي من الدّين لا نقول: لا، وهي قصيّة ففهيّة موجودة في كتاب الفقه، لكن المصيبة الكبرى عندك أنك تأكل أموال يتامى أو أموال أخواتك البنات، استوليت على الميراث، فلا تُعط مصيبتك في المال بقصيّة مُتعلّقة بطهارة البدن، أو الثوب، أو طول الثوب، أو كذا، هذا من التّعدي عن الحق.

تجد امرأة مُتقلّبة من كل منتهج، لا تُقيم شرع الله، ولا تُربي أولادها، ولا كذا، ثم تناقش تقول: أنا وجدتُ ورقة كيف أتلقها لأنه مكتوب عليها اسم الله عز وجل، هذا شيء جيد، وهذا تعظيم شعائر الله، لكن الاهتمام بالأمور البسيطة وترك الأمور الكبرى في الدّين هذا دليل أن الإنسان يريد أن يتخلّص من واجباته، فجاء الرّد الإلهي في هذه الآية.

القبيلة القصد فيها الجهة وليس عين الكعبة:

حتى اليوم في بلاد الغرب هناك معارك تُدار من أجل القبيلة، مع أن القبيلة القصد فيها الجهة وليس عين الكعبة، (سَطَرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي جهته، فالموضوع لا يحتاج إلى سَمَت وبوصلات وأنت قبيلتك صحيحة وأنت خطأ لأنك انخرقت عن البوصلة وكذا.

عندما ابتعد المسلمون عن دينهم عَرِقُوا في التّفصيلات حتى يُعطوا تركهم الأساسيات، هذه مشكلة، فجاء الإسلام هنا، وجاء القرآن الكريم ليبيّن للناس ضرورة الاهتمام دائماً بحقيقة البر وليس بالشكليات المُتعلّقة بالبر، قال: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) أي انتهى الأمر، الله أمرك إلى بيت الله الحرام، انتهى الأمر، الله عز وجل قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)

[سورة البقرة]

لكن الله اختار بيته الحرام كتعبير رمزي عن صلّتنا بهذا البيت الحرام فانهى الأمر، وأصبح استقبال القبلة شرطاً لصحّة الصلاة وانتهى الأمر.

المنطلقات النظرية التي ينبغي أن ننتقل منها في كل سلوك:

لكن الآن عودوا إلى البر الحقيقي وانتهوا لما سأفوله لكم، قال: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ) الآن انتبه، (لَكِنَّ): استدراك أي الآن انتبه ماذا سأقول لك. (وَلَكِنَّ الْبِرَّ) الآن بدأ بالتّاحية العقديّة، التّصوّر، الأيديولوجيا، الإيمان، العقيدة.



العطاء ينبغي أن يصدر عن عقيدة صحيحة

(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) هذه أركان الإيمان، هذا الجانب العقدي قبل العطاء، لأن العطاء ينبغي أن يصدر عن عقيدة صحيحة، إذا لم يكن هناك عقيدة صحيحة يُصبح العطاء ليكسب ودّ الناس، للشّهرة في الأرض، ليقول الناس: فلان مُنْفِق وقد قيل، وربنا عز وجل كريم، أي حتى الذي يُعطي في الدنيا من غير عقيدة صحيحة يُكافئه في الدنيا، فيُحصّل الشّهرة، ويُصبح له مكانة في المجتمع، ويُشار له بالتّنان، لكن إن لم يكن عنده إيمان بالآخرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۖ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ (200)

[سورة البقرة]

لأنه لم يعمل في الأصل للآخرة، لكن كَرَمَ ربنا عز وجل أن أي إنسان يُحسِن في الدنيا يأخذ ثوابه، وإن كان للآخرة يأخذ ثوابه في الدنيا والآخرة.

فينطبق البر هنا من قِصَّةِ التَّصَوُّرِ، لأن التَّصَوُّرَ هو الذي يدقِّعك للعطاء الصحيح، التَّصَوُّرُ، فبدأ بالعقيدة (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) إذا دَقَّقنا في هذه الخمسة، إذا نظرنا بإمعان في هذه الخمسة مُعْظَمُهَا عَيْبٌ، (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ) عَيْبٌ، الله تعالى كل شيءٍ يدل عليه، كل شيءٍ في الوجود، وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد، كل شيءٍ يدل على وجوده، لكن هو عَيْبٌ، أي غاب عن أنظارنا، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنظِرُكَ إِلَى الْجَنَّةِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَنَّةِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)

[سورة الأعراف]

لما طَلَبَ إبراهيم: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ □ قَالَ لَنْ تَرَانِي)، وبنو إسرائيل لما قالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ

[سورة النساء]

أنت لا ينبغي أن تطلب الرؤية، أنت مؤمن بالغيب، أنت رأسمالك إيمانك بالغيب، يوم القيامة تنظر إلى وجهه الكريم، لكن في الدنيا لا. هذه الأركان الخمس فيها عَيْبٌ، الإيمان بالله، باليوم الآخر، بالملائكة، بالكتب والنبيين، جزء شهادة وجزء عَيْبٌ، لأن الكتاب أصبح شهادةً بين أيدينا، لكن ما يُخَيِّرُنَا به عَيْبٌ. النَّبِيُّونَ: بعهد النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً كان شهادة مئة بالمئة، الآن يوجد أشياء على الخَيْرِ، كان هناك النبي عيسى والنبي موسى، وهذه أخبار، لكن أخبار صادقة مئة بالمئة فهي من الغيب بشكل أو بآخر.



قِصَّةُ الْإِيمَانِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْغَيْبِ

قِصَّةُ الْإِيمَانِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْغَيْبِ بِشَكْلِ رَيْسٍ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِالشُّهُودِ لَأُسْمِيَ إِيمَانًا، إِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا مُؤْمِنٌ مئةً بِالمئةِ أَنَا الْآنَ نَجْلِسُ فِي جَلِيسَةٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ، مُؤْمِنٌ تَمَامًا، مَاذَا نَفْعُ مَعَكَ؟ هَلْ تُحِبُّ أَنْ نُكَافِئَكَ عَلَى إِيمَانِكَ؟ نَحْنُ جَالِسُونَ فِي هَذِهِ الْجَلِيسَةِ، إِذَا قَالَ: أَنَا مُؤْمِنٌ مئةً بِالمئةِ أَن هَذِهِ طَاوِلَةٌ، هَذِهِ وَاضِحَةٌ لَا نَحْتَاجُ إِلَى إِيمَانٍ.

فكرة الإيمان أن هناك شيئاً لا تُدرِّكُه بصرُك لكنك تُؤْمِنُ به، وتصل إليه قبل أن تصل إليه، أي تصل إليه بفكرك قبل أن تصل إليه بجسدك، الآن كلنا يتنصّل إلى الجنة إن شاء الله، والبيدون عن الله سبيلون إلى النار نسال الله السلامة، لكن نحن وصلنا إلى الجنة والنار الآن قبل أن تصل إليها بجسدنا، وصلنا إليها إيماناً وتحقيقاً، لذلك قبل قليل كنا نُصَلِّي، لماذا كنا نُصَلِّي؟ لأننا وصلنا إلى الجنة والنار، فنخاف من الله عز وجل، فأدبنا ما افتترض. الآن بعد قليل إذا عُرضَ على أحدنا مال من حرام يركله بقدِّمِه، لأنه وصل إلى الجنة والنار، قبل أن يصل إليها بجسده، ولكنه وصل إليها بعقله، وبأخبار الله له، ففكر من خلال الإخبار أن هناك جنة ونارا، فالتزم بالمنهج.

فالإيمان عَيْبٌ، فكرة الإيمان مُنْطَلِقَةٌ مِنَ الْغَيْبِ، (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)، هذه كلها عَيْبَاتٌ، المؤمن يعتقد يقيناً ليس شكاً ولا وهماً ولا طناً ولا غلبَةً الظن، يعتقد يقيناً بأن الله موجود وواحد وكامل وبأن هناك يوماً سَتَسْؤَى فِيهِ الْحِسَابَاتِ وَسَتَقِفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُوهُمْ ۖ إِنَّهُمْ مُسْتَوْلُونَ (24)

[سورة الصافات]

وبأن هناك ملائكة قد وكلهم الله بمهمات، وبأن هناك أنبياء قد أرسلهم الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا
جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِي بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (78)

[سورة غافر]

وبأن هناك كُتُباً أنزلها الله تعالى، منها الإنجيل والرُّبور والتَّوراة وكتابنا المُصَدِّق لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ والمُهَيَّمِ عَلَيْهِ، فنحن نؤمن، هذه مُنْطَلِقَاتُنَا النَّظَرِيَّةُ إِنْ صَحَّ التَّعْبِيرُ الَّتِي نَنْطَلِقُ مِنْهَا فِي
كُلِّ سَلُوكٍ.

الإيمان هو الأساس الذي يبنى عليه ما بعده:

الآن كل سلوك سوف ينطلق من هذا الإيمان لذلك بدأ بالإيمان، كيف تستطيع أن تقول لإنسان: أنيق لوجه الله وهو لم يؤمن بالله أصلاً؟ السلسلة مقطوعة.
كيف تقول لإنسان: إن القرآن نزل به الروح الأمين وهو لا يؤمن بوجود الملائكة أصلاً والله يقول: هناك مَلَكٌ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ كيف تشهد أن لا
إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهو لم يؤمن أصلاً بوجود الأنبياء؟ وهكذا، فقصصة الإيمان هي الأساس أي هي القاعدة، هي التعليم الأساسي الذي لا بد منه ليبنى عليه ما بعده.
(مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) طبعاً في الحديث الشريف القضاء والقدر أيضاً، وهو مُتَّفَعٌ عَنِ الْإِيمَانِ، لَأَنَّ الْقَضَاءَ هُوَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى.

ارتباط ارتقاء الإنسان بإنفاقه ما يحب:



التَّعَدُّ جزء من المال

الجزء الأول الإيمان، الجزء الثاني قال: (وَأَتَى الْمَالَ) بدأنا الآن بالحركة، الحركة التي فيها خدمة للآخرين، لأن الير له علاقة بالإحسان، بالعطاء، بالخير، فبدأنا الآن بالنقطة
الثانية: (وَأَتَى الْمَالَ) المال هو كل مُتَمَوَّلٍ، التَّعَدُّ جزء من المال، التَّعَدُّ جزء من المال، لكن صرنا نطلق الجزء على الكل فنقول: هذا مال، الأوراق النقدية، لكن البيت مال،
المعمل مال، المال هو كل شيء له قيمة فهو مال، مُتَمَوَّلٌ أي يُبَاعُ وَيُشْتَرَى، مثلاً في ديننا الخمر ليس مالاً، إنسان يملك عشر زجاجات من الخمر والعباد بالله لا تُسَمَّى مَالاً شَرْعاً
لأنها تَجَسُّة، غير مُتَمَوَّلَةٍ، غُرْفًا تُسَمَّى مَالاً، يَبِيعُهَا وَيَسْتَلِيمُ نَمْنَهَا، ولكن شرعاً الخمر لا تُسَمَّى مَالاً، لأنها تَجَسُّة تُهْرَاقُ، إذا تاب الإنسان يقول لك: أبيعها؟ لا، لا تبعها، تُبْلِغُهَا وَعَلَى
القمامة، ولو لإنسان يستجلبها، الآن ثبت إلى الله هذا لم يعد مَالاً، كل شيء تَجَسُّة ليس بمال، كل شيء تَجَسُّة حُكْمِيَّةٌ أَوْ حَقِيقِيَّةٌ ليس بمال، الخنزير ليس مَالاً شَرْعاً.
المال مُتَقَوِّمٌ أي له قيمة شرعيَّة، المال يستمدُّ قيمته من الشريعة، فالذي لا يُسَمَّى الشَّرْعَ مَالاً ليس مَالاً.

فهو (أَتَى الْمَالَ) أي أتى من ماله سواء التَّعَدُّ، أو الكِيسَاءُ، أو الدَّوَاءُ، أو الغدَاءُ، كل ما له قيمة شرعاً فهو مال.

(عَلَى حُبِّهِ) على حُبِّ من؟ على حُبِّ المال؟ ممكن. ربنا عز وجل هنا أطلق الكلام حتى نفهم كل المعاني، (عَلَى حُبِّهِ) على حُبِّ المال؟ ممكن، أي هو يُجِبُّ الْمَالَ وَرَغْمَ ذَلِكَ
أَنَّهُ، أَنْفَقَهُ، وَالْإِنْسَانُ لَا يَرْفُقُ إِلَّا إِذَا أَنْفَقَ مِمَّا يُحِبُّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لو عنده شيء تالف ولا يريد به يقول لك: تصدقت به، لن تنال البر، البر يحتاج أن تنفق شيئاً تحبّه، (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) على حُبِّ المال، ممكن على حُبِّ الإيتاء؟ ممكن، (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) وهو حُبُّ العطاء.



المؤمن ينبغي أن يُحِبَّ العطاء

كثير من الناس يقول لك: أنا أسعد ما أكون عندما أعطي المال وأضعه في مكانه وأرى أثره، أرى الفقير اليوم التالي يخرج من بيته وقد ألبس أولاده لباساً جميلاً، يدخل إلى قلبي من السرور أضعاف ما لو أنفقتُ المال على نفسي، لأنني رأيتُ أثر عملي، فهذا (أَتَى الْمَالَ) وهو حُبُّ إيتاء المال، على حُبِّ الإيتاء، فالمؤمن ينبغي أن يُحِبَّ العطاء. (أَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) على حُبِّ الله، صحيح، لماذا دفع المال؟ لأنه يُحِبُّ الله تعالى، والحُبُّ إنفاق، وكانوا يقولون: الحب بلا إنفاق نفاق، فلمَّا يُحِبُّ الله تعالى والله تعالى قال له: ادفع، فدفع لأنه يُحِبُّ الله، ويرجو ثواب الله. إذاً (أَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) على حُبِّ المال ورغم حُبِّه له دفعةً، قال صلى الله عليه وسلم:

{ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَكْبَرُ أَجْرًا؟ قَالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ تَحْسَبُ

الْفَقْرَ، وَتَأْمَلُ الْعَيْتَى، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ، قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ }

[البخاري]

أي أنت تُحِبُّ المال، ربما تشعر أنك تحتاجه والوقت صعب، وربما في المستقبل لا يوجد عمل، ينبغي أن أجمع أكثر، ودفعت، (أَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ). (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) الإيتاء، يُحِبُّ العطاء، وأتى المال على حُبِّ الله، على حُبِّه، على حُبِّ الله تعالى، لأنه يُحِبُّ الله دفع ماله ليُبرهن على محبته لله.

الأصناف التي يدفع لها المال:

1 - ذوو القربى:

الآن دَقِّعَ المال لمن؟ الآن أعطاك أصنافاً مُهمَّة جداً وترتيبها مُهم جداً. بدأ بـ (ذَوِي الْقُرْبَى)، (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى) الأقربون أولى بالمعروف، والإنسان لا ينبغي أن يُخرج زكاة ماله ولا صدقاته، قبل أن يتفقَّد أقرباءه، لأننا إذا تكافلنا بأن كل غني تكفل عائلته وأسرته انتهينا، بقي اثنين أو ثلاثة بالمنة بالمجتمع كله الذين ليس لهم أقرباء، نُعطِيهم الزكاة ونقطه انتهى.

لو كل إنسان تفقَّد أهله وأقرباءه وأسرته وعائلته، فينبغي للإنسان إذا أراد أن يؤتي المال إن كان لديه زكاة أو صدقات، أن يبدأ بالأقارب، ثم الأبعد فالأبعد، الدائرة القريبة أولاً، طبعاً المُلتزم بالتفَقُّع عليهم، هذه لا بد منها، لكن انتقل؛ أخي، أختي، أصهاري - أزواج أختي - زوج ابنتي ممكن، إذا زوجها فقير لا يوجد مانع، حتى يمكن أن أعطيه من الزكاة على بعض أقوال أهل العلم، لأن الزكاة هنا ليست للبيت بل للصحَّ، لأنه هو مُلتزم بالتفَقُّع، انتقلت من الأصهار لأوسع، الأخوال، الأعمام، أولادهم، أنا أوسَّع الدائرة فهذه: (ذَوِي الْقُرْبَى).

2 - اليتامى:

(وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى) اليتامى قدَّمهم لأنهم فقدوا مع المال المُعين، المسكين الفقير ربما والده يعمل قِيمِدَه بشيء أما اليتيم فقد قَدَّ والده وهو دون سن الحُلْم، لا يُتم بعد الحُلْم، اليتيم قبل الحُلْم، فاليتيم يحتاج إلى التفَقُّع أكثر من غيره، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ، أَوْ لَعِيرِهِ أَوْ وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى }

رفيق في الجنة للنبي صلى الله عليه وسلم، إما أن تُؤتيَ المال لليتيم فوراً أو لِوَصِيَّهِ، إذا كان اليتيم صغيراً ممكن للوصي إذا كان هناك وصي مُعَيَّن تُعيَّنه، هذا لفلان، أنت واثق منه أعطيته.

3 - المساكين:

(وَأَتَى أَمْالَ عَلَى حُبِّ ذَوِي الْفُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ) هنا لم يذكر الفقراء، في آية الزكاة قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ □ قَرِيبَةً
مِنَ اللَّهِ □ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60)

[سورة التوبة]

هنا قال المساكين. الفقراء والمساكين قال أهل العلم: هاتان الكلمتان إذا اجتمعتا تفرقتا وإذا تفرقتا اجتمعتا.



الفرق بين الفقير والمساكين

كيف؟ إذا اجتمعتا أي قال: فقراء ومساكين، تُمَيِّزُ الفقير شيء والمساكين شيء، أما إذا ذكر المساكين فهو يشمل الفقير، وإذا ذكر الفقير فالمساكين معه، لكن إذا ذكرهما معاً نريد أن ننظر للفروق بينهما، ما الفرق بين الفقير والمساكين؟ أرجح الأقوال الفقير لا شيء له، المساكين له شيء لا يكفيه، لأن المساكين جاءت من سَكَنَ، من السكون، فهو عنده شيء لكنه لا يستطيع القيام بتحصيل شيء، سكن، مسكين، من المسكنة، تقول لي: فلان لا يوجد عنده شيء: فقير، فلان عنده لكن للعاشر من الشهر انتهى الراتب و أولاده لا يجدون ما يحتاجونه، هذا مسكين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79)

[سورة الكهف]

فعندنا فقراء وعندنا مساكين، هنا ذكر المساكين فهو يشمل من باب أولى الفقير، أي إذا كنت تُؤتي المال للمساكين فمن باب أولى لمن لا شيء له أن تُؤتيه.

4 - ابن السبيل:

(وَأَتَى أَمْالَ عَلَى حُبِّ ذَوِي الْفُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) السبيل هو الطريق، (وَابْنِ السَّبِيلِ) تُسَبِّبُ إلى الطريق، لأنك تقول: أنا ابن دمشق، أنا ابن عمان، والذي في الطريق لا من دمشق ولا من عمان وانقطعت السبيل به، صار ابن السبيل، فتسببه إلى المكان الذي هو فيه، أي ابن الطريق الذي انقطع، فهذا قد يكون له مال، قد يكون في بلده تاجراً كبيراً لكن لَمَخَ الشَّرْعَ هذا القلح، هو في بلده تاجر:

{ وارحموا عزيز قوم ذل }

[ابن الجوزي]

لكن الآن لسبب أو لآخر يقول لك: أنا انقطع ليس معي ما أصيل به إلى بلدي، وعند وصولي سأريئيل لك، هذا ابن السبيل يُعطى من المال على حُبّه.

5 - السائلين:

(والسائلين) جاء بسألك، عندي مشكلة، عندي عمل جراحي، ابني مريض، ابني يحتاج إلى تكاليف لإتمام دراسته، هو يسأل.

الآن هل كل سائل يُعطى؟ أي كل سائل يعطى من غير تحقُّق؟ بالتأكيد لا. ليس هذا من مقاصد الشريعة، ليس من مقاصد الشريعة أن أكون على إشارة المرور ويقال لك: هذا من السائلين ينبغي أن أعطيّه، ممنوع حرام إن لم أعطيه، لا، إذا كان شاباً ويسأل و يوجد عصابة تقف خلفه وتنتظر المال، هذا ليس سائلاً، هذا صار مُحْتالاً، والمُحتال لم يقل الله: أعط المُحتال.

إذاً المقصود بالسائل هو السائل المحتاج من باب التّيان الذي لا يحتاج إلى بيان، السائل هو الذي يحتاج المال، لأن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث أخرى أيضاً ذمّ المُسألة، قال:

{ هذا خيرٌ لك أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقرٍ مُدْفِع، أو لذي عُرمٍ مُقْطَع، أو لذي دمٍ

{ مَوْجِع }

[سنن أبي داود]

{ لَأَنْ يَخْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُرْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْتَعَهُ }

[صحيح البخاري]

أي عليه أموال ولا يستطيع أداؤها، فذهب وقال لك: ديون ركبتني، أو لذي فقرٍ مُدْفِع أي وصلَ لمرحلة لا يجد ما يأكل أولاده، هذه المسألة، أما الإنسان يكون معه ويستطيع أن يعمل ويسأل الناس، فهذا مَذْمُوم.

إذاً: **(والسائلين)** هم الذين يسألون ويستجفون المال، فإذا سألك الناس تحقّق قبل أن تُعطيّه.

6 - في الرقاب:

(وَفِي الرِّقَابِ) الرِّقَاب جمع رَقَبَة، والرقبة تعني الإنسان، لكن يُكْنَى بِرَقَبِيّه لأن الإنسان إذا أمسكته من رَقَبِيّه فقد تَحَكَّمَتْ به، فكأن الرَقَبَة هي الإنسان، فالله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَا أُفْتَحَمَ الْعَقَبَة (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَة (12) قُلْ رَقَبَة (13)

[سورة البلد]



حلّ المشكلة كان لا بد أن يأتي بالتدرّج

فهل جاء الإسلام إذا لُعبتْ الناس لغير الله أم ليعتق العبيد ويوجههم لعبادة الله؟ ما دام في كل الآيات يجعل الصدقات في الرقاب، إذا الهدف أن تدفع الزكاة لتحرير الناس من العبودية، فمن يتهم الإسلام بأنه أنشأ نظام العبودية فهذا لم يقرأ شيئاً. العبودية نظام قائم، جاء الإسلام فألغاه من خلال توسيع المخارج، وتضييق المدخل، حتى ألغاه بسنوات قليلة دون أن يحدث مشكلة اجتماعية، فجاء الإسلام وأمر كما أمر بالخمير، بعد التدرّج، لكن في النهاية قال لهم: **(فاجتنبوه)**، فأراقوا كل ما في أيديهم من خمير، حتى المدينة صارت تجري بها أنهار كما وصفوا بالخمير، أراقوا كل شيء، فلو جاء الإسلام وقال: حرّروا العبيد الآن، إذا سنشئ مشكلة مباشرة في المجتمع المسلم، اسمها: مشكلة العبيد، الذين كانوا يعيشون عند أشخاص يتكفلون بهم، وفجأة أصبحوا في الشوارع، إذا لم يكن هناك تربية إيمانية أصبحوا قطاع طرّوق وسارقين، فحلّ المشكلة كان لا بد أن يأتي بالتدرّج، فالإسلام صتّق المدخل، متّع أن تُدجّل أفراداً إلا بالحرب، لم يعد بالإمكان، ووسّع المخارج، وأمر بالإحسان للعبيد الموجودين، يجب أن تُحسّن لهم:

{ هُم إِخْوَانِكُمْ حَوَالِكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُلَايِمْكُمْ مِنْهُمْ فَبِعِزَّتِهِمْ، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ }

[البخاري]

{ لَا تَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطَعْتُ رَبِّي، وَصِيَّ رَبِّي، اسْقِ رَبِّي، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي، مَوْلَايَ، وَلَا تَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أُمَّتِي، وَلْيَقُلْ: فَنَائِي، وَفَنَائِي،

{ وَغُلَامِي }

[البخاري]

حتى الاسم ألغاه النبي صلى عليه وسلم، ووسّع المخارج، كل ما يفعل الإنسان شيئاً يعيق رقبة، وفي الرقاب، فكُ رقبة، تريد أن تتجّم العقبة فكُ رقبة، فالإسلام جاء للفداء على هذا النظام الذي كان قائماً في الجاهلية وقضى عليه فعلاً، لكن الآن عدنا إليه نسأل الله السلامة لكن ليس على مستوى استبعاد الأفراد وإنما على مستوى استبعاد الشعوب، نسأل الله السلامة.

هذا الجانب الإيتاء، **(وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ).**

7 - من أقام الصلاة وآتى الزكاة:

الآن قال: **(وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ)** وقبل ذلك: **(وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ)**، هذه الآية دليل الفقهاء وثروة في الأثر: **(في المال حو سوى الزكاة).**

بدأ بناحية العطاء المُطلق ثم قال لك: هناك زكاة، إذا الإنسان الغني لا يكتفي بالزكاة 2,5 بالمئة، هو لو اكتفى تری من الشُّح، وإن شاء الله تریت ذمته، لكن الأصل في المؤمن أن العطاء هو سياسته، والزكاة هي جزء من العطاء، لذلك كثرها هنا للتأكيد على الفريضة، الأول هو: مُطلق العطاء **(وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ)**، ثم قال: **(وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ)**، قلنا سابقاً إن أكثر زكّين من أركان الإيمان تکرراً مُتلازمين: الإيمان بالله واليوم الآخر، وأكثر قريصتين من أركان الإسلام تکررتا إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، لأن إقام الصلاة هو الحركة العموديّة نحو الخالق بالصلّة، وإيتاء الزكاة هي الحركة الأفقيّة نحو المخلوق بالعطاء.

8 - الموفون بعهدهم:

(وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) هذا من الير، إن عاهدت الله على الطاعة أوف بعهدك، عاهدت أخاك على أن تُعطيه ديتّه بعد أشهر وأنت قادر أوف بعهدك، **(وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا)** هذا من الير.

9 - الصابرون:



الصبر مَلَاكُ الدِّينِ

(وَالصَّابِرِينَ) باللغة العربية ينبغي والصَّابِرُونَ، والموفون والصَّابِرُونَ، اسم معطوف مرفوع، الموفون مرفوع ينبغي والصَّابِرُونَ، لماذا قال: والصَّابِرِينَ؟ في اللغة إذا أردت أن تلقى الأنظار إلى شيءٍ مُعَبَّرٌ بحركة الإعراب، وتَنْصِبُهُ بفعل محذوف أي كأن الله تعالى قال: وَالْمُوفُونَ يَعْتَدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، انتهينا، الآن وأخْصُ الصَّابِرِينَ، أي هؤلاء لديهم مَيِّزَةٌ خاصة جداً بالير. لأن الصَّابِر هو مَلَاك كل ما مضى، لأن الذي ليس عنده صبر لن يُؤْمِن أصلاً باليوم الآخر، ولا يُؤْمِن بالله. لَمَّا قالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 تَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِأَبْصَارِهِمْ
 ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (153)

[سورة النساء]

بنو إسرائيل، لماذا؟ لم يصبوا. أنت ستراه، هو يريد أن يراه الآن، غداً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَآزِفُنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ
 (114)

[سورة المائدة]

فالصبر مَلَاكُ الدِّينِ، الدِّين كُلُّهُ صَبْرٌ، فلذلك عَدَلَ عن الرَّفْعِ إلى النَّصْبِ وكان هناك فعلاً مُفَدَّرًا يُسَمُّوهُ: مَنْصُوبٌ على الاختصاص، وأخْصُ الصَّابِرِينَ، بحث طويل، وأخْصُ الصَّابِرِينَ أي أَخْصَهُمْ بالذكر لأن الأساس في كل ما مضى هو الصَّابِر، أن تصبر، ولن تعرف حتى تصبر، لن تستطيع أن تعرف الحقائق إلا إذا صَبَرْتَ، فلذلك دفع المال، إيتاء المال يحتاج إلى صَبْرٍ، لأنك تصبر على طاعة الله، وإذا كنت تريد أن تكفَّ عن معصية تحتاج إلى صَبْرٍ لأنك تصبر عن معصية الله، وإذا كنت تريد أن تؤمن تحتاج إلى صبر على هذا المجلس، ما هو هذا المجلس؟ مجلس إيمان، ويحتاج إلى صَبْرٍ، يحتاج إلى صَبْرٍ، نصف ساعة جلوس، استماع، والإنسان الاستماع لديه ليس بالشيء اليسير، مثل الكلام أو متابعة شيء على الشاشة.

إذا الإيمان يحتاج إلى صبر والإيتاء يحتاج إلى صبر، والصلاة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ تَحْنُ تَزُرُّكَ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (132)

[سورة طه]

القيام للصلاة والرُّكوع والسجود يحتاجان إلى صبر. فلذلك حَصَّ الصَّبْرَ وَتَصَبَّه لِيَبَانَ أَنَّهُ مُتَمَيِّزٌ عَمَّا سَبَقَ لَهُهُ الْأَسَاسُ فِي ذَلِكَ كَلِمَةً، قَالَ: (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ) الْبَأْسَاءُ الْفَقْرُ، نَقْصُ الْمَالِ، نَقْصُ الْأَمْوَالِ، نَقْصُ الْأَنْفُسِ، الْفَقْرُ. وَالصَّرَاءُ: الصَّرُّ بِالْجِسْمِ، الْمَرَضُ.

(وَجِبْنَ النَّاسِ) الْحَرْبِ، (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَجِبْنَ النَّاسِ).

متى يكون الإنسان أشد ما يكون بحاجة إلى الصَّبْرِ؟ إِذَا فَقَدَ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ، الْمَالِ شَفِيقَ الرُّوحِ كَمَا يَقُولُ الْعَوَامُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، أَوْ إِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ فِي بَدَنِهِ، مَرَضٌ، أَوْ إِذَا كَانَ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ مَعَ الْعَدُوِّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)

[سورة آل عمران]

الصادقون هم من جاءت حركتهم في الحياة مُطابِقةً لمعتقداتهم:

(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَجِبْنَ النَّاسِ) [وَأُولَئِكَ] الَّذِينَ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، وَأَوْفُوا بِعُهُودِهِمْ وَصَبَرُوا (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) [] مَا هُوَ الصِّدْقُ؟ هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْكَلَامَ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ، إِذَا قُلْتَ لَكَ الْآنَ: هَذَا اللَّوْنُ أَخْضَرٌ، هَذَا صِدْقٌ، إِذَا قُلْتَ لَكَ: هَذَا أَحْمَرٌ، هَذَا كَذِبٌ، لِأَنَّ الْكَلَامَ لَمْ يَأْتِ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ، أَنْ تَأْتِيَ النِّسْبَةَ الْكَلَامِيَّةَ مُطَابِقَةً لِلْوَاقِعِ، الْآنَ هَؤُلَاءِ لِمَاذَا صَدَقُوا؟ لِأَنَّهُمْ تَرَجَّمُوا إِيمَانَهُمْ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ فَهُوَ صَادِقٌ، أَمَا إِذَا إِنْسَانٌ قَالَ لَكَ: أَنَا مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَذَهَبَ وَظَلَمَ النَّاسَ، هَلْ هُوَ مِنَ الَّذِينَ صَدَقُوا؟ كَيْفَ تُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَظْلِمُ النَّاسَ وَتَسْتَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ؟ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا لِأَنَّهُمْ جَاءَتْ حُرُوكُهُمْ فِي الْحَيَاةِ مُطَابِقَةً لِمَعْتَقَدَاتِهِمْ.

اتقاء الله خشية عذابه:

(وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الَّذِينَ اتَّقَوْا شَيْئًا يَكْرَهُونَهُ هُوَ النَّارُ. مَا مَعْنَى التَّقْوَى؟ أَنْ تَتَّقِيَ شَيْئًا تَكْرَهُهُ.

(أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ: مَا التَّقْوَى؟ قَالَ: أَمَا سَلَكْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَاذَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ إِذَا وَصَلْتُ ابْتَعَدْتُ عَنْهُ أَوْ جَاوَزْتُهُ، فَقَالَ: ذَلِكَ التَّقْوَى).

يُوجَدُ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ تَتَّبَعْدُ عَنْهُ، مَا الَّذِي تَكْرَهُهُ؟ النَّارُ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَّقِيهَا بِالْإِحْسَانِ.

آخِرُ شَيْءٍ: لِمَاذَا نَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ؟ اتَّقِ اللَّهَ وَاتَّقِ النَّارَ، كَيْفَ ذَلِكَ؟ هَلِ النَّارُ تَفْعَلُ فَعْلَهَا بِذَاتِهَا أَمْ لَهَا خَالِقٌ؟ فَأَنْتَ عِنْدَمَا تَتَّقِي اللَّهَ تَتَّقِي نَارَهُ، أَوْ نَقُولُ: اتَّقِ النَّارَ، إِمَّا أَنْ نَقُولُ: اتَّقِ النَّارَ بِمَا هِيَ الْمُسَبَّبُ الَّذِي هِيَ النَّاتِجَةُ، أَوْ نَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ عَذَابٌ شَدِيدٌ، فَيَتَّقِي اللَّهُ تَعَالَى خَشْيَةَ عَذَابِهِ، يَكْرَهُ عَذَابَهُ فَيَتَّقِيهِ، أَوْ يَتَّقِي النَّارَ فَوْرًا، فَقَالَ: (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).

والحمد لله رب العالمين